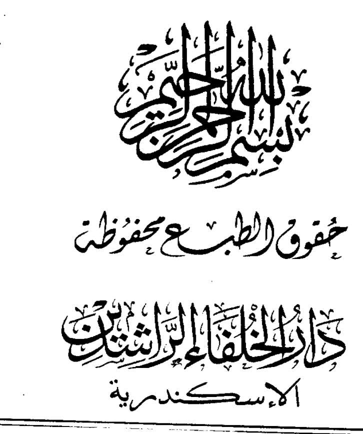
من أخلاق السلف

الدكتور
أحمد فريد
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

توزيع

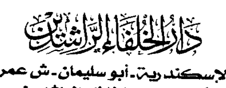
دار الخلفاء الراشدين
دار الفتح الإسلامي



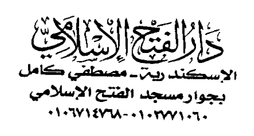
دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٢٣٦

توزيع



الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٢٠١٥٢٩٠٨-٠١٠٥٠١٣١٥١



الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٦٧١٤٧٦٨-٠١٠٢٧٧١٠٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا ، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَ له ومن يُضللْ فلا هادىَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدى هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

فمن أولى ما أنفقت فيه نفائس أنفاس العمر الاهتمام بما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فقد قال إمام دار الهجرة رحمه الله: « **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** ».

والدعوة السلفية تهدف إلى بناء جيل موافق للجيل الأول الذي تتلمذ على رسول الله ﷺ، وسبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وليس المقصود مجرد الموافقة في العقائد، وإن كانت العقائد هي أصل الأصول، ولكن المقصود أن نوافقهم في فهم الكتاب والسنة وفي العمل بالكتاب والسنة، وفى أخلاقهم الفاضلة، وفى جهادهم وصبرهم، وفى قيامهم بالليل وصيامهم بالنهار، وفى بذلهم في الدعوة إلي الله ﷻ، وهذا هو المعنى الكامل للسُّنة.

ولقد كان طلاب العلم في الأزمنة الزاهرة يتلقون عن شيوخهم الأدب والهَدْيَ وحسن السَّمْتِ مع تلقيهم للحديث والعلوم الشرعية ، فكان أمَامهم الأمثلة الحية لحسن السمت وكمال الخُلُق ، فلا يحتاجون مع ذلك إلى كثير درس أو تلقين ، ثم لما انقطعت سلسلة الإسناد ، واندثرت مجالس الإملاء من أزمنة متطاولة ، وعَزَّت هذه الأمثلة الحية للأخلاق الفاضلة ، وتتلمذ كثير من طلاب العلم على الصحف ، واندرس كثير مما كان عليه سلفنا الصالح من الأخلاق العالية والآداب السامية ، أردنا أن نُذَكِّر أنفُسنا وإخواننا من طلاب العلم بأخلاق السلف الكرام ، لعلنا بذلك نعوض نقصًا في المكتبة الإسلامية ، فإن أكثر هذه المعاني قد لا يجدها الطالب إلا في كتب الصوفية وقد اختلط بها من الأكاذيب والشطحات والأخبار الموضوعة بما يجعلنا لا ننصح بالنظر فيها والتعلم منها لمن لا يفرق بين السنة والبدعة والهدى والضلال .

فدونك هذا الكتاب عسلٌ مصفًّى ، لا تكاد تجد فيه حديثًا ضعيفًا ، وفيه من الآداب والأخلاق والفضائل ما يجدر بالعاقل أن يعض عليه بالنواجذ ، وأن يجعله منهجًا يقيس عليه ما يوفق إليه من طاعات ، حتى ينسج على منوال سلفه الكرام .

وقد طبع الكتاب طبعته الأولى منذ ستة أعوام أو نحوها ، وتلقفه إخواننا بالقراءة والمدارسة ، ثم طبع منذ ثلاثة أعوام أو أقل من ذلك طبعة فاخرة وقفية بالإمارات لم أقف على شيء منها ، وذلك بإعادة جمعه على الطبعة الأولى ، وها أنا ذا أقدمه لطبعةٍ مزيدةٍ منقحةٍ محققةٍ لإخواننا الكرام ، في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات بطلب منهج تربوي يتربى عليه شباب الدعوة السلفية .

وأسأل الله الغني الكريم أن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله خالصًا لوجهه ، وأن يجزى خيرًا من نظر فيه بقصد الانتفاع به أو النصيحة لجامعه ، والله يهدينا صراطه المستقيم ويغفر لنا ما بدا من تقصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وكتبه

أحمد فريد

مقدمة الطبعة الأولى

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله مِن شرورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا ، مَن يهدِه اللهُ فلا مضُلَّ له ، ومن يُضللْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا ـ .

أما بعد :

فإن من أهم ما يبادر به اللبيبُ شرخ شبابه ، ويُدْئب نفسَه في تحصيله واكتسابه ، حسنَ الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله ، واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله .

وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة ، وأولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة طلاب العلم الشرعي .

قال ابن سيرين : « كانوا يتعلمون الهَدْيَ كما يتعلمون العلم » .

وقال حبيب بن الشهيد لابنه : « يا بني ، اصحب الفقهاء والعلماء ، وخذ من أدبهم ، فإن ذلك أحبُّ إليَّ من كثير من الحديث » .

وقال بعضهم لابنه : « يا بني ، لأن تتعلم بابًا من الأدب أحبُّ إليَّ من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم » .

قال الله ﷻ مادحًا نبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، وقال ﷺ : « **إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاق** » [(١)] ، وقد ندبنا الله ﷻ إلى الاقتداء برسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١/ ٢٧١) ، والحاكم (٢/ ٦١٣) التاريخ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في « الصحيحة » رقم (٤٥) : وهذا إسناد حسن ، وابن عجلان إنما أخرج له مسلم مقرونًا بغيره ، وله شاهد أخرجه ابن وهب في « الجامع » ، فالحديث صحيح . قال فضل الله الجيلاني : لا يكون دين من الأديان خاليًا من مكارم الأخلاق ، لكن لم تكن الأخلاق مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة في دين دين ، فهذا معنى : « **أتمم مكارم الأخلاق** » ... أي أبلغ نهايتها ـ باختصار من « فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد » (١/ ٢٧١) .

فاقتدى السلف الصالح ﷺ برسول الله ﷺ ، وتخلقوا بأخلاقه ، وامتثلوا ما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وكانوا كما قال الله ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

قال الإمام مالك ﷺ : « بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا : والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا » .

ولما بَعُدَ العهدُ بزمن النبوة ، وغابت شمس الشريعة ، وتشاغل الناس بأمور الدنيا ، واندرس كثير من الأخلاق التي نشأ عليها الصدر الأول من هذه الأمة المشرفة ؛ عمدنا إلى اختصار ما جمعه أحد العلماء المتأخرين في بيان أخلاق السلف ﷺ ، وتحليته بالآيات والأحاديث المناسبة ، وتخليته من الأخبار الواهية والحكايات الموضوعة ، راجين أن ينتفع المسلمون بما تضمنه من خير ، وأن نجنبهم ما فيه من شر ، والله أسأل أن ينفع به من انتهى إليه ، وأن يجعله له غُنْمًا لا غُرْمًا ، وأن يوفق ناقله وناشره وقارئه إلى العمل بما فيه ، والله عند قصد كل عبد ونيته ، وهو مولانا ونعم النصير .

١- من أخلاق السلف ﷺ

كثرة إخلاصهم في علمهم وعملهم ، وخوفهم من دخول الرياء في ذلك

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] ، وقال النبي ﷺ : « **إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغِيَ به وجهه** » (١) .

كان إبراهيم التيمي يقول : « المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته » . وكان الشَّعْبِيُّ رحمه الله يقول : « من أدب

(١) رواه النسائي (٦/ ٢٥) الجهاد ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : وإسناده حسن (٤/ ٢٨) ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/ ٢٤) : إسناده جيد ، وقال الألباني في « الصحيحة » رقم (٥٢) : إسناده حسن . وقال في « صحيح النسائي » : حسن صحيح ، رقم (٢٩٤٣) ، وقال في التعليق عليه : فهذا الحديث وغيره يدل على أن المؤمن لا يُقْبَلَ منه عمله الصالح إذا لم يقصد به وجه الله ﷻ ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] فما يكون حال الكافر بربه إذا لم يخلص له في عمله ؟ الجواب في قوله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] . (الصحيحة - ١/ ٧٢) .

العلماء إذا علموا أن يعملوا ، فإذا عملوا شغلوا بذلك عن الناس ، فإذا شغلوا فُقِدُوا ، وإذا فقدوا طُلِبُوا ، وإذا طلبوا هربوا ، خوفًا على دينهم من الفتن » . وكان الفضيل بن عياض ﷺ يقول : « إذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح لذكره بالصلاح عند الأمراء وأبناء الدنيا فاعلموا أنه مراءٍ » .

وذلك لأن الإخلاص هو أن يبتغى العبد بعلمه وعمله ما عند الله ﷻ ، فانشراح صدره للثناء أو عند اطلاع الناس على عمله من علامات الرياء الخفي ، والسلف كانوا يعدون الرياء أكبر الكبائر ، لأنه من الشرك الأصغر ، والشرك أكبر الكبائر ، ففتش يا أخي نفسك ، في علمك وعملك ، وابك عليها إن رأيت فيها رياء أو سمعة ، فإن مَن راءى راءى اللهُ به ، ومن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسنة

لاحتمال أن يكون ذلك القول أو الفعل من جمله البدع التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال النبي ﷺ : « **وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة** » (١) ، وقال ﷺ : « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد** » (٢) .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦ ، ١٢٧) ، وأبو داود (١٢/ ٣٥٩ ، ٣٦٠) السنة ، والترمذي (١٠/ ١٤٤) العلم ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٤٣) المقدمة ، والدارمي (١/ ٤٤ ، ٤٥) اتباع السنة ، والبغوي في « شرح السنة » (١/ ٢٠٥) ، وقال : هذا حديث حسن ، وصححه الألباني في « الظلال » .

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١٦) الأقضية ، والبخاري بمعناه (٥/ ٣٠١) الصلح .

=

فقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يحثون على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب البدع ، ويشددون في ذلك ، حتى إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما كان يَهِمُّ بالأمر ويعزم عليه ، فيقول له بعض الناس : إنَّ رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك ولم يأمر به ، فيرجع عما كان عزم عليه .

قال بعضهم : إن طريق القوم رضي الله عنهم محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر ، وذلك لأن لهم في كل حركةٍ وسكونٍ نية صالحة بميزان شرعي ، ولا يعرف ذلك إلا من تبحر في علوم الشريعة .

والرد هنا بمعنى المردود أي فهو باطل غير معتد به .

٣- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة تفويضهم إلى الله تعالى في أمر أنفسهم وأولادهم وأصحابهم

فلا يكون مُعَوَّلُهُمْ في أمر هدايتهم إلا عليه عز وجل، ولا يطلبون شيئًا أبدًا بأنفسهم وهم غائبون عن الاستناد إلى الله تعالى.

قال الله تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥]،

وقال تعالى حاكيًا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

فبين الله تعالى عاقبة التفويض إليه.

قال بعضهم : ليس شيءٌ أنفعَ لأولاد العلماء والصالحين من الدعاء لهم بظاهر الغيب ، مع تفويض أمرهم إلى الله تعالى .

ومما يدل على فضل التفويض إلى الله ﷻ والتوكل عليه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن رجلًا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسْلِفَهُ ألف دينار ، فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدًا ، قال : فَأْتِني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلًا ، قال : صدقت ، قال : فدفعها إليه إلى أجل مسمى . فخرج في البحر فقضى حاجته ، ثم التمس مركبًا يركبها يَقْدَمُ عليه للأجل الذي أَجَّلَهُ فلم يجد مركبًا ، فأخذ خشبة فَنَقَرَها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زَجَّجَ موضعها ، ثم أتى بها إلى البحر ، فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار ، فسألني كفيلًا فقلت : كفى بالله كفيلًا ، فرضي بك ، وسألني شهيدًا ، فقلت : كفى بالله شهيدًا فرضي بك ، وأنى جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر ، وإني أَسْتَوْدِعُكَهَا ! فرمى بها في البحر ، حتى وَلَجَتَ فيه ،**

ثم انصرف ، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه ، فأتى بالألف دينار ، وقال : والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك ، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه ، قال : هل كنت بعثت إليّ بشيءٍ ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه ، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشدًا »(١) .

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٦٢فتح) ، وأحمد (٢/ ٣٤٨) .

٤- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عملهم على ترك النفاق بحيث تتساوى سريرتهم وعلانيتهم في الخير ، فلا يكون لأحدهم عمل يفتضح به غدًا في الآخرة

نصح بعضهم عمر بن عبد العزيز فقال : إياك يا عمر أن تكون وليًا لله في العلانية وعدوا له في السر ، فإن من لم تتساو سريرته وعلانيته فهو منافق ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار .

وقال بعضهم : إياكم وخشوع النفاق ، فقيل : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يُرَي الجسد خاشعًا ، والقلب ليس بخاشع .

ففتش نفسك هل تساوت سريرتك وعلانيتك أو لا ؟ وأكثِر من الاستغفار ، واعلم أن من أظهر للناس فوق ما في قلبه فهو منافق .

* ومن صفات المنافقين التكاسل عن الصلاة وقلة ذكر الله فيها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٤٢] .

* ومن صفاتهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٦٧] .

* ومن صفاتهم موالاة الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٣٨-١٣٩] .

* ومن صفاتهم عدم الرضا بحكم الله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١] .

* ومن صفاتهم الكذب والغدر والخيانة والفجور عند الخصومة ، كما قال النبي ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقًا**

خالصًا ، ومن كانت فيه خَصْلَةَ منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[1] .

(١) رواه البخاري (١/ ٨١) الإيمان ، ومسلم (٢/ ٤٦) الإيمان ، والنسائي (٨/ ١١٦) الإيمان .

٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة الصبر على جور الحكام وشهودهم أن ذلك دون ما يستحقونه بذنوبهم

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا ﴾ [الأنعام : ١٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

وقُرِئَ :﴿ أَمَّرْنَا ﴾ .

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : كان الحجاج الثقفي بلاءً من الله وافق خطيئة .

كتب رجل لمحمد بن يوسف يشكو إليه من جور الولاة في بلاده فأجابه محمد بقوله : قد بلغنا كتابك ، ولا يخفى عن علمك يا أخي أنه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة ، وما أرى ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنب والسلام .

فالله عز وجل قد يعاقب الظالم بالظالم ثم يُصَيِّر كُلًّا إلى النار ، وقد

نهى الله ﷻ عن إعانة الظالمين أو الركون إليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] .

سئل عطاء بن أبي رباح رحمه الله عن شخص يكتب بقلمه عند الأمراء ، لا يجاوز ما جعلوه له من الرزق . فقال عطاء : أرى أن يترك ذلك ، أما سمع قول موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « **من أعان ظالمًا أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم ، فقد باء بغضب من الله** » .

٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

غيرتهم لله تعالى إذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة

فكانوا لا يفعلون فعلًا ، ولا يصحبون أحدًا إلا إن علموا رضا الله تعالى فيه ، فلا يحبون أحدًا ولا يبغضونه لعلة دنيوية .

قال النبي ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » [(١)] .

وقال ﷺ : « **من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان** » [(٢)]

---

(١) رواه البخاري (١/ ٦٠) الإيمان ، والترمذي (١٠/ ٩١) الإيمان .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٦) « السنة » وقال المنذري : وفي إسناده القاسم بن عبد الرحمن وقد تكلم فيه غير واحد وله شاهد من حديث معاذ بن أنس الجهني

قال بعضهم : صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح .

وقال أحمد بن حرب : ليس شيء أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم ، وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم .

أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ورواه البغوي في « شرح السنة » (١٣/ ٥٤) وقال المحقق : وإسناده قوي .

٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

قلة الضحك وعدم الفرح بشيء من الدنيا

بل كانوا ينقبضون بكل شيء حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها ومناصبها ، عكس ما عليه أبناء الدنيا ، كل ذلك خوفًا أن يكون من جملة ما عجل لهم من نعيم الآخرة .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لولا أنى أخاف أن ينقص من حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم ، ولكني سمعت الله عَيَّر قومًا فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠]

وما تميز أهل الله عَجَلَك عن غيرهم إلا بالإقبال على الآخرة والتهيؤ لأحوالها ، فتأمل يا أخي في نفسك وما أنت منطو عليه من الغفلة والسهو عما يقربك إلى الله تعالى ، وأكثر من الاستغفار .

قال بعض السلف : إن استطعت أن لايسبقك أحد إلى الله ﷻ فافعل .

وقال بعضهم : إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الدين .

وصف بعضهم الحسن فقال : كان والله إذا أقبل كأنه رجع من دفن حميمه ، وإذا أدبر كأن النار فوق رأسه ، وإذا جلس كأنه أسير قُدِّم لِضَرْبِ عنقه ، وإذا أصبح كأنه جاء من الآخرة وإذا أمسى كأنه مريض أضناه السقم .

قال الحسن البصري : اتصل بي أن بعض الصالحين جعل على نفسه ألا يراه الله ضاحكًا حتى يعلم أي الدارين داره : الجنة أم النار ، قال : لقد عزم ؒ فوفى بعزمه وما رؤي ضاحكًا حتى لقي الله .



٨- من أخلاقهم رضي الله عنهم

تمني الموت إذا خافوا على أنفسهم الوقوع فيما يسخط الله عز وجل ، وذلك بأمارات تظهر لهم من أنفسهم هي كالمقدمات للمعاصي

والأصل أن المؤمن لا يتمنى الموت إلا إذا خاف فتنة في الدين وذلك لأن المؤمن لا يزداد من الدنيا إلا خيرًا .

وقد قال بعض السلف : كل يوم يعيشه المؤمن فهو غنيمة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يتمنينَّ أحدكم الموت ، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا ، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب** » (١) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا** » (٢) .

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١٠/ ١٢٧) المرضى ، والنسائي (٤/ ٣) الجنائز .

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٨) الذكر والدعاء .

=

ولكن إذا كثرت الفتن وخاف المؤمن على دينه فيستحب له عند ذلك أن يتمنى الموت ويدعو به كما في حديث اختصام الملأ الأعلى : « **وإذا أردت فتنه قوم فتوفني غير مفتون** » (١) .

قال العلامة منير الدين الدمشقي : هذه الفقرة من جوامع الأدعية وفيها الخير العظيم لمن أمعن النظر بدقائقها ، وذلك لأنها برهان قاطع على صحة إيمان الذي دعا بها ، وذلك لأنَّهُ رضي بذهاب الروح من جسده وقدمها ضحية وقربانًا ليتخلص من فتنة قد تكون سببًا لعذاب دائم ، فلولا أنه مؤمن حقًا لما فادى بحياته واختار الموت ، فهو مؤمن بالله واليوم الآخر والعذاب والنعيم ، وبلغ من الخشية أن يختار الموت على عيشة ممزوجة بالفتنة ، علمًا أن التيار لا يمكن الوقوف أمامه ،

- وروى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال : « **لايتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه فإن كان لابد فاعلًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي** » .

(١) رواه احمد (٥/ ٣٤٣) ، والترمذي (١٢/ ١١٥ ، ١١٦) « التفسير » ، وقال : هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث صحيح ، وصححه الألباني .

فإذا حصل لقوم فتنه فإنه يعلم أن قيامه في وجه هذه الفتنة قد لا يكون يجديه نفعًا إذا سرى مرضها في النفوس ، واشتد غضب الله عليهم ، ولذلك استعد للأمر قبل وقوعه ، فدعا ربه القادر وحده على تخليصه من هذه المصيبة ، كي لاتصيبه نار الفتنة ، فلا يختار الدنيا على الآخرة [١] .

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : سيأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى العلماء فيه من الذهب الأحمر ، حتى يأتي الرجل قبر أخيه فيقول : ليتني كنت مكانه .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها ، فالموت اليومَ تحفةٌ لكل مسلم » .

---

(١) باختصار من هامش اختيار « الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى » لابن رجب بتحقيق بشير محمد عيون (٣٠) دار البيان ، وانظر : « أحكام تمني الموت » لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٩- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة خوفهم من الله تعالى في حال بدايتهم وحال نهايتهم

لكن في حال بدايتهم من الذنوب وخوف العذاب ، وفي حال نهايتهم خوف الإجلال والتعظيم ، وخوف سوء الخاتمة .

قال تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن : ٤٦]

وقال ﷻ : ﴿ **وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وقال ﷺ : « **من خاف أَدْلَجَ** [١] ، **ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** » [٢] .

كان أبو تراب النخشبي يقول : إذا أجمع الرجل على ترك الذنوب أتته الإمدادات من الله ﷻ من كل جانب ، ومن علامة سواد القلب ثلاث : أن لا يجد للذنوب مفزعًا ، ولا

---

(١) أَدْلَجَ : أي سار من أول الليل .

(٢) رواه الترمذي (١٠/ ٢٢٧) صفة القيامة ، وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم (٤/ ٣٠٨) الرقاق ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي والألباني .

للطاعة موقعًا ، ولا للموعظة منجعًا .

وكان الحسن البصري يقول : من علامة من غرق في الذنوب ، عدم انشراح صدره لصيام النهار وقيام الليل .

وقال بعضهم : لو لم يكن في الطاعة إلا ظهور نور الوجه وبهائه ، والمحبة في القلوب ، والقوة في الجوارح ، والأمن على النفس ، والتجوز في الشهادة على الناس ؛ لكان في ذلك كفاية في ترك الذنوب ، ولو لم يكن في المعصية إلا النكارة في الوجه ، والظلمة في القلب ، واللعنة في الذكر ، والإسقاط في الشهادة ، والخوف على النفس ، لكان في ذلك كفاية ، فيجعل الله تعالى لكل من الطائع والعاصي أمارات ليفرح هذا ويحزن هذا .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

قال بعض السلف : إنما تقول الملائكة ذلك لمن طال خوفه من الله ﷻ وحزنه مما فرط منه ، أما من لم يخف الله ﷻ ولم يحزن على ما فاته من الخير فلا يقال له شيء من ذلك .

١٠- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة شفقتهم من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومظالم العباد ولو إبرة يخيطون بها

لاسيما إن كان أحدهم يستقل أعماله الصالحة في عينه، فإنه يشتد خوفه وكربه لعدم أن يكون معه شيء من الحسنات يعطي منها الخصوم يوم القيامة، وربما شح أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة في مظلمة واحدة من مال أو عرض.

قال رسول الله ﷺ: « **من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنَّه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أُخِذَ مِن سيئات أخيه فطرحت عليه** » (١).

(١) رواه البخاري (٦٥٣٤) المظالم، والترمذي (٩/ ٢٥٤) صفة القيامة.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما المفلس** » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « **إن المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وَضَرَب هذا ، فَيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** » (١) .

رُوي عن الحسن البصري أنه قال : ولقد رُوي أنه نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال أبو بكر رضي الله عنه : « نزلت والله قاصمة الظهور » ، فإذا قال ذلك أبو بكر وقد شُهد له بالجنة كيف يجب أن يكون قول من سواه ؟! فاعتبروا معشر المؤمنين وكونوا على حذر لعلكم تأمنون من عذاب يوم عظيم .

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٣٦) البر والصلة ، والترمذي (٩/ ٢٥٣ ، ٢٥٤) أبواب الزهد .

١١- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

انخلاع قلوبهم من أجسامهم في كل مرضة يمرضونها

لاحتمال أن تكون تلك المرضة إخراجًا لهم من الدنيا ، فلا يمكنهم التوبة ولا تدارك الحقوق ، فيذهبون إلى الآخرة وهم عصاة ، كالعبد الآبق الذي هرب من سيده بعد كثرة مخالفاته فأحيط به وأحضر إلى سيده .

دخل الحسن البصري على رجل وهو يجود بنفسه ، فقال : إن أمرًا هذا آخره لحقيق أن يُزهد في أوله .

ودخلوا على عتبة الغلام في مرض موته فقالوا : كيف تجدك ؟ فأنشد يقول :

خرجْتَ من الدنيا وقامتْ قيامتي
غداةَ يُقلُّ الحاملون جنازتي
وعجَّلَ أهلي حفْرَ قبريْ وصيَّروا
خروجيْ وتعجيليْ إليه كرامتي

كأنهمُ لم يعرفوا قطّ صورتي
غداةَ أتى يومي عليَّ وليلتي

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بَكَى ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني أنتظر رسولًا يأتيني من ربي ، هل يبشرني بالجنة أو بالنار .

فتأمل يا أخي في نفسك ، واعلم أنك محتضر على الدوام ولا تملك لنفسك نَفَسًا واحدًا ، وأكثِر من الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار ، والله يتولانا وإياك بهدايته ، ويمنُّ علينا بأسباب رحمته .

١٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة الاعتبار والبكاء والاهتمام بأمر الموت إذا رأوا جنازة أو تذكروا الموت وسكراته وسوء الخاتمة ، حتى تتزلزل قلوبهم

كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى أحدًا يحمل جنازة يقول لها : « امض إلى ربك فَإِنَّا على إثرك مَاضُون » .

وكان مكحول الدمشقي يقول إذا رأى جنازة : اغدوا فإِنَّا رائِحُون ، موعظة بليغة قليلة ، وغفلة شنيعة ، يذهب الأول ، والآخر لا يعتبر .

وكان الأعمش يقول : كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يُعَزَّي لأن الحزن قد عم الناس كُلَّهُمْ .

وكان ثابت يقول : كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متلفعًا باكيًا .

وذلك لأنهم كانوا يتذكرون جنازة أنفسهم ، فلا يبكون على الميت ولكن على أنفسهم .

فجدير بمن الموت مصرعه ، والقبر مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، ألا يكون له فكر إلا في ذلك ، ولا استعداد إلا له .

فاعلم ذلك واعتبر كما اعتبر هؤلاء ، وأكثر من البكاء والنحيب ، فإن بين يديك من الأهوال ما لا يوصف ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

١٣- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة العفو والصفح عن كل من آذاهم بضرب أو أخذ مال أو وقوع في عرض أو نحو ذلك

عملًا بقول الله عز وجل : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] ، وبقوله عز وجل ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وتخلقًا بأخلاق رسول الله ﷺ حيث كان لا ينتقم لنفسه ، وإنما ينتقم إذا انتهكت حرمات الله عز وجل .

ومن تخلق بهذا الخلق الكريم يكون أقرب إلى رحمة أرحم الراحمين وعفوه ومغفرته . كما في الصحيح : « **كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه** » (١) .

كان جعفر بن محمد يقول : لأن أندم في العفو ، أحبُّ إليَّ من أندم على العقوبة .

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٩٤) الأنبياء ، ومسلم (١٠/ ٢٢٦) المساقاة .

وسئل قتادة من أعظم الناس قدرًا ؟ قال : أكثرهم عفوًا .

ويروى أن أحد السلف غاظه غلام له فجأة غيظًا شديدًا فَهَمَّ بالانتقامِ منه .. فقال الغلام : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ ، فقال : كظمت غيظي . قال الغلام : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، قال : عفوت عنك . قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قال : اذهب فأنت حر لوجه الله .

١٤- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة تعظيمهم حرمة المسلمين ومحبة الخير لهم

لأنها من جملة شعائر الله ؛ ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

وقد عظم النبي ﷺ حرمة المسلمين في أعظم محفل شهدته البشرية ، فقال ﷺ في حجة الوداع : « إنَّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » (١).

وقال ﷺ :« كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » (٢) .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : « لا يحقرن أحدٌ أحدًا من المسلمين ، فإن صغير المسلمين عند الله كبير» .

---

(١) جزء من خطبة الوداع ، رواه مسلم (٩/ ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤) الحج ، وأبو داود (٥/ ٣٧٥ ، ٣٧٦، ٣٧٧) المناسك ، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٥) المناسك .

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٢١) البر والصلة ، والترمذي (٨/ ١١٥) البر والصلة ، وأبو داود (٤٨٦١) الأدب .

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : « أفضل الحسنات إكرام الجليس » ، وكان ينظر إلى الكعبة ، ويقول : « إن الله حَرَّمَكِ وشَرَّفَكِ وكرَّمَكِ ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك » .

وكان عكرمة يقول : « إياكم أن تؤذوا أحدًا من العلماء ، فإن من آذى عالمًا فقد آذى رسول الله ﷺ » .

فتأمل يا أخي في نفسك هل عظمت حرمات المسلمين فضلًا ، عن العلماء والصالحين كما ذكرنا ، أم احتقرتهم ووقعت في أعراضهم وصرت من الفاسقين بذلك .

١٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

صبرهم على أذى زوجاتهم ، وشهودهم أن كل ما بدا من زوجة أحدهم من المخالفات له صورة معاملته لربه ، فلما خالف ربه كذلك خالفته زوجته

قال بعض السلف : إني لأعصي الله فأجد ذلك في خُلق دابتي وامرأتي .

وكانوا رضي الله عنهم يؤدون إلى المرأة حقها على الكمال ، ولا يمنعهم مخالفتها لهم عن ذلك .

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :« من سعادة المرء خمسة أشياء : أن تكون زوجته موافقة ، وأولاده أبرارًا ، وإخوانه أتقياء ، وجيرانه صالحين ، ورزقه في بلده » .

قال النبي ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي** » (١) .

---

(١) رواه الترمذي (١٣/ ٢٦٢) المناقب ، وقال : هذا حديث غريب حسن صحيح

وكان أحمد بن حرب يقول : « إذا اجتمع في المرأة ست خصال فقد كمل صلاحها : المحافظة على الخمس ، وطواعية زوجها ، ومرضاة ربها ، وحفظ لسانها من الغيبة والنميمة ، وزهدها في متاع الدنيا ، وصبرها عند المصيبة » .

ومن أخلاقهم مع زوجاتهم كذلك صبرهم على إصلاحهن عملًا بقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] .

وعملًا بوصية رسول الله ﷺ : « **فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** » (١) .

من حديث الثوري ما أقل من رواه عن الثوري ، وروي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ وهو مرسل . ورواه الدارمي (٢/ ١٥٩) دون الفقرة الأخيرة ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٢٨٥) .

(١) جزء من خطبة الوداع ، وتقدم تخريجها (ص٣٩) .

١٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

ترك طلب الرياسة حتى تفجأهم ويقدمهم الناس على أنفسهم

ويصير أحدهم يقول : ما أنا بأهل للإمامة مثلًا ، فيقول الناس له : بل أنت أهل لذلك وزيادة .

عملًا بقول النبي ﷺ : « **يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها** » (١) .

وقال ﷺ : « **إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة** » (٢).

وقد كان سفيان الثوري رحمه الله يقول : « من طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه وفاته خيرٌ كثيرٌ » .

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ١٣) الأحكام ، ومسلم (١٢/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) الإمارة .

(٢) رواه البخاري (١٣/ ١٢٥) الأحكام .

وكان يقول :« لا يطلب أحدكم الرياسة إلا بعد مجاهدة نفسه سبعين سنة » .

وكان مسلم بن قتيبة ﷺ يقول : « أدركنا الناس وهم يعدون الإمارة أعظم بلاء ، ونراهم اليوم يطلبونها ، وكانوا إذا تولى صديقهم الإمارة يقولون اللهم أنسه ذكرنا حتى يصير لا يعرفنا ولا نعرفه » .

١٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

نصح بعضهم بعضًا ، فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له وبالعكس ، وهذا بخلاف ما عليه أهل الرعونات اليوم

عملًا بقول النبى ﷺ :« **الدين النصيحة** » ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » (١) .

---

(١) رواه مسلم (٢/٣٦) الإيمان ، وأبو داود (٤٩٢٣) الأدب ، والنسائى (٧/١٥٦)البيعة .

قال النووي : قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله : « **النصيحة** » كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ، ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة ، كقوله : « **الحج عرفة** » ، أي عماده ومعظمه ، وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء كلامًا نفيسًا أنا أضم بعضه إلى بعض مختصرًا ، قالوا : أما النصيحة « **لله** » - تعالى - فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال ، والقيام بطاعته ، وأما النصيحة « **لكتابه** » فالإيمان بأنه كلام الله تعالى ، وتعظيمة وتلاوته ، والوقوف على أحكامه ، وأما النصيحة « **لرسوله** » ﷺ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به =

وكانوا يقبلون النصائح ويشكرون الناصح ، ولا يرى أحدهم أنه قام بحق من نصحه ولو أحسن إليه مدى الدهر ، وذلك لأن الأمور الأخروية لا تقابل بالأعراض الدنيوية .

قال رجل للحسن البصري : أوصني ، فقال له : أعز أمر الله حيثما كنت ، يعزك الله حيثما كنت .

وكان بعضهم يكتب إلى بعض بالنصيحة وإن بعدت الديار ، وكان المنصوح يقبل النصح ويشكر من نصحه ، خلاف ما عليه الناس اليوم ، فلا تكاد تنصح أحدًا إلا ويصير ينظر في عيوبك ليهجوك بذلك .

كتب طاوس إلى مكحول ـ رحمهما الله ـ : يقول له : بعد السلام .. احذر يا أخي أن تظن بنفسك أن لك مقامًا عظيمًا عند الله مما ظهر لك من أعمالك ، فإن من ظن بنفسه ذلك انقلب إلى الآخرة صفر اليدين من الخير وربما عظمك الناس بسبب أعمالك الصالحة فاستعجلت ثوابها بذلك .

ونصرته ، وأما النصيحة « لأئمة المسلمين » فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم ، وترك الخروج عليهم وأما نصيحة عامة المسلمين فإرشادهم لمصالحهم ، وكف الأذى عنهم . باختصار من « شرح مسلم » (٢/ ٣٧ ، ٣٨) .

فاعلم ذلك يا أخي وانصح نفسك أولًا ثم انصح إخوانك مشافهة ومكاتبة ، وإياك أن تتكدر ممن نصحك .

١٨- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

حسن أدبهم مع الصغير فضلا عن الكبير ، ومع البعيد فضلاً عن القريب ومع الجاهل فضلاً عن العالم

وقد قال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] ، مع أن فرعون كان من أفسق الكفار .

وأجمعوا على أن علو الدرجات إنما يكون بزيادة الأدب ، والأصل في الأدب شهود النقص في أنفسهم والكمال في غيرهم ، عكس من نظر إلي نفسه بعين الكمال ، وإلى غيره بعين النقص ، فإن يورث الكبر ، والعياذ بالله .

قال النبي ﷺ :« **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** »(١) .

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « أعلم الناس بالله أشدهم تعظيمًا لأهل لا إله إلا الله » .

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨) .

وكان بكر بن عبد الله المزني يقول : إذا رأيت من هو أكبر منك فعظمه ، وقل : إنه سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فعظمه ، وقل في نفسك : إني قد سبقته إلى الذنوب ، وإذا أكرمك الناس فقل : هذا من فضل الله عَلَيَّ لا أستحقه ، وإذا أهانوك فقل : هذا بذنب أحدثته ، وإذا رميت كلب جارك بحصاة فقد آذيته .

١٩- ومن أخلاقهم رحمهم الله

شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء فيكونوا من المحجوبين عنه في النار

وكان أحدهم يأخذ في التفكر والحزن حتى يغيب عن الحاضرين .

قال النبي ﷺ : « **إنما الأعمال بالخواتيم** » (١) ، وقال النبي ﷺ : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار** » (٢) .

وهذا هو الذي أذهل العقول . وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : إن الرجل ليعمل زمانًا بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار ..

كم من وجوه خاشعة وُقِّعَ على قصص أعمالها : ﴿ **عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً** ﴾ ، كم مَنْ قَارَبَ مَرْكَبُهُ ساحل النجاة ، فلما هَمَّ أن يرتقي لعب به موج فغرق ، كل العباد تحت هذا الخطر .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٩٩) القدر ، وأحمد (٥/ ٣٣٥)

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٠٣) بدء الخلق ، ومسلم (١٦/ ١٩٠) القدر ، والترمذي (٨/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » . فقلت : يا نبيَّ الله ، آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « **نعم ، إن القلوب بين أَصْبُعَيْنِ من أصابع الله يقلبها كيف يشاء** » (١) .

كان مطرف بن عبد الله يقول : إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك ، وإنما أعجب ممن كيف نجا ، وما أنعم الله على عبد بنعمة أفضل من أن يميته على الإسلام .

---

(١) رواه الترمذي (٨/ ٣٠٧) القدر ، وابن ماجه (٣٨٣٤) الدعاء ، والبغوي في « شرح السنة » (١/ ١٦٥) الإيمان ، وقال البغوي : هذا حديث حسن ، وصححه الألباني ، ورواه مسلم عن عبد الله بن عمرو .

٢٠- ومن أخلاقهم ﷺ

مواظبتهم على قيام الليل صيفًا وشتاءً

عملًا بقول النبي ﷺ :« **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد** » (١) .

كان عبد الله بن مسعود ﷺ يقوم للتهجد إذا هدأت العيون ، فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح .

كان عبد العزيز بن أبي روَّاد يفرش له الفراش ، فيضع يده عليه ويقول : ما ألينك ، ولكن فراش الجنة ألين منك ،

---

(١) رواه الترمذي عن بلال وعن أبي أمامة (١٣/ ٦٤ ، ٦٥) الدعاء ، وقال عن الطريق الأول : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلا من هذا الوجه ، وذكره الألباني في « ضعيف الجامع » وقال : إنما أوردته من أجل الجملة الأخيرة منه : « ومطردة للداء عن الجسد » فإني لم أجد لها شاهدًا معتبرًا وسائره من حصة الكتاب الآخر الصحيح . وذكره الألباني كذلك في « الإرواء » رقم (٤٥٢) وحسنه .

ـ والحديث رواه الحاكم (١/ ٣٠٨) صلاة التطوع عن أبي أمامة دون الجملة الأخيرة وقال : صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : وذا من عجائبه فإن معاوية بن صالح لم يخرج له البخاري .

ثم يقوم إلى صلاته فلا يزال يصلي إلى الفجر .

كان النبي ﷺ يصلي حتى تتفطَّرَ قدماه وتَرِمَ ساقاه فيقال له : « أتفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ » فيقول : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » (١) .

كان الحسن البصري يقول : ما ترك أحدٌ قيام الليل إلا بذنب أذنبه ، وكان كثيرًا ما يقول : إنما يثقل قيام الليل على من أثقلته الخطايا .

وكان يقول : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل .

وكان يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب .

روى عبد الله بن المبارك في الزهد عن امرأة مسروق قالت : ما كان مسروق يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة ، قالت : إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة به .

(١) رواه البخاري (٣/ ١٤) التهجد ، ومسلم (١٧/ ١٦٢) صفة القيامة والجنة والنار ، والترمذي (٢/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) الصلاة ، والنسائي (٣/ ٢١٩) قيام الليل .

٢١- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

تَفَقُّدُ نفوسهم كُلَّ ساعة ليخرجوا منها صفات المنافقين ويدخلوا فيها صفات المؤمنين ، لأنها عكسها

فمن جملة صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ﷻ : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] إلى آخر الآية ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ... ﴾ [المؤمنون : ١-١١] ، ونحوها من الآيات .

وفي الحديث : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (١) ، وقال ﷺ :« **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** » ، قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : « **الذي لا يأمن جارُهُ بوائقَهُ** » (٢) .

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥٦-٧٥) الإيمان ، ومسلم (٢/ ١٦) الإيمان ، والنسائي (٨/ ١١٥) الإيمان ، والترمذي (٩/ ٣١٩) صفة القيامة ، وابن ماجه (٦٦) المقدمة . وقال الحافظ في « الفتح » : والمراد بالنفي كمال الإيمان ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم كقولهم : فلان ليس بإنسان .

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٣) الأدب ، ومسلم (٢/ ١٧) الإيمان ، ورواية مسلم :

وقد جمع يحيى بن معاذ ﷺ جملة من صفات المؤمنين في بعض رسائله فقال : أن يكون كثير الحياء قليل الأذى ، كثير الخير ، قليل الفساد ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، كثير البر للرحم ، وصولًا وقورًا شكورًا ، كثير الرضا عن الله إذا ضيق عليه الرزق ، حليمًا ، رفيقًا بإخوانه ، عفيفًا شفوقًا ، لا لعانًا ولا سبابًا ولا عيابًا ولا مغتابًا ولا نمامًا ولا عجولًا ولا حسودًا ولا حقودًا ولا متكبرًا ولا معجبًا ، ولا راغبًا في الدنيا ، ولا طويل الأمل ، ولا كثير النوم والغفلة ، ولا مرائيًا ، ولا منافقًا ، ولا بخيلًا ، هشاشًا بشاشًا ، لا خساسًا ولا جساسًا ، يحب في الله ، ويرضى في الله ، ويغضب لله ، زاده تقواه ، وهمته عقباه ، وجليسه ذكراه ، وحبيبه مولاه ، وسعيه لأخراه .

وكان الفضيل بن عياض ﷺ يقول : المؤمن يزرع نخلًا ويخاف أن يثمر شوكًا ، والمنافق يزرع شوكًا ويطلب أن يثمر رطبًا .اهـ .

« **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** » . قال ابن الأثير : البوائق : الدواهي والشرور واحدتها بائقة .

فاعلم هذا يا أخي وفتش نفسك قبل موتك ، وابكِ عليها إن وجدت فيها أخلاق المنافقين ، وأكثِر من الاستغفار ، والحمد لله رب العالمين .

٢٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

تقديم أعمال الآخرة دائمًا على أعمال الدنيا

فيقدم أحدهم وِرْدَه بعد صلاة الصبح على سائر مهماته ، كما يقدم التهجد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف ، وعلى ذلك درج السلف **الصالح** رضي الله عنهم ، فمن أصبح وهمه في الدنيا فهو خارج عن طريقهم .

قال الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨-١٩] .

وقال ﷺ : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له » (١) .

(١) رواه الترمذي (٩/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) (صفة القيامة) وسكت عنه . **قال الألباني** : =

كان مالك بن دينار رحمه الله يقول : « من خطب الدنيا طلبت منه دينه كله في صداقها ، لا يرضيها منه إلا ذلك » .

قال علي رضي الله عنه : « ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل » .

وهو إسناد ضعيف لكنه حسن في المتابعات ، وانظر : « الصحيحة » لمزيد النفع رقم (٩٤٩) .

٢٣- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله ﷺ في كل مجلس جلسوه

قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

وقال ﷺ : « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مَثَلُ الحى والميت** » (١) ، وقال ﷺ : « **ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه ، إلا قاموا عن مثل جيفه حمار ، وكان عليهم حسرةً يوم القيامة** » (٢) .

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : قد خفف الله تعالى علينا بقوله : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، لم يخص مكانًا دون

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٠٨) الدعوات ، ومسلم (٦/ ٦٨) صلاة المسافرين بلفظ : « **مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت** » .

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٤) الأدب ، والحاكم (١/ ٤٩٢) ، وأحمد (٢/ ٣٨٩) ، وأبو نعيم (٧/ ٢٠٧) ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي والألباني في « الصحيحة » رقم (٧٧) .

مكان ، ولو أنه تعالى عَيَّنَ لنا مكانًا نذكره فيه لكان الواجب علينا السعي إليه ، ولو كان مسيرة مائه سنة ، كما صنع في دعاء الناس إلى الكعبة فله الحمد والمنة .

وكان الفضيل بن عياض ﷺ يقول : إذا ذكرتم الخلق في مجالسكم فاذكروا الله تعالى ، فإن ذكره دواء لداء ذكر الخلق .

وكان أبو المليح ﷺ إذا ذكر الله تعالى يحصل له فرح وسرور ويقول : إنما طربي بذكر الله تعالى لي ، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، وكان إذا مشى في طريق هو غافل عن ذكر الله تعالى رجع ثانيًا وذكر الله تعالى فيها ولو مرحلة ، ويقول : إني أُحبُّ أن تشهد لي البقاع التي أمر فيها كلها يوم القيامة .

وكان يحيى بن معاذ ﷺ يقول : حادثوا القلوب بذكر الله ، فإنها سريعة الغفلة .

٢٤- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم في حق الله تعالى ، لعل الله أن يرحمهم

قال رسول الله ﷺ : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا** » . فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين » (١) .

قال عليٌّ رضي الله عنه : « رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أرَ اليوم شيئًا يشبههم ، كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا ، بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى ، قد باتوا سجدًا وقيامًا ، يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر يوم الريح ، وهملت أعينهم بالدموع ، فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين » .

كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣١٩) الرقاق ، والترمذي (٩/ ١٩٤) الزهد ، والخنين : هو البكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف .

كان ابن عباس ﵄ أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة البكاء .

كان كعب الأحبار ﵀ يقول : لأن أبكي من خشية الله حتى تخرج من عيني قطرة واحدة أحبُّ إليَّ من أن أتصدق بجبل من ذهب وأنا غليظ القلب .

وكان عليٌّ ﵁ يقول : علامة الصالحين صفرة الألوان ، وعمش العيون ، وذبول الشفاة ، من كثرة سهرهم وبكائهم وجوعهم .

٢٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

ظنهم بأنفسهم الهلاك بسبب تقصيرهم في الطاعات فضلاً عن وقوعهم في المعاصي

ويقولون : الرجاء في الله تعالى أن يعفو عنا هو تحصيل الحاصل ، وإنما الشأن في ظن أحدهم أن الله تعالى يؤاخذه على النقير والقطمير ، ليخفَّ وقوفه للحساب يوم القيامة ، فإن من لم يحاسب نفسه هنا يطول وقوفه للحساب هناك .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر : ١٨] .

قال عمر رضي الله عنه : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ، وتهيئوا للعرض الأكبر ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

كان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يقول : فتشوا أنفسكم فيما هي عليه من القبائح ، فإن كل أحدٍ يحشر غدًا مع جنسه ، فمن وقع في كل المعاصي فله مع كل قوم حشر (١) .

---

(١) لعله استند إلى قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ =

[الصافات : ٢٢] . قال بعض السلف : ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أشباههم .

وكان رحمه الله كثيرًا ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول لها : إن المنادي ينادي يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، ثم ينادي : يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، ثم ينادي : يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة .

٢٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم الاعتناء ببناء الدور ونحوها

ثم إن وقع أن أحدهم بنى دارًا فإنه كان يقصر منها على ما يدفع الضرورة من غير زخرفة ، وذلك لعدم وجود ما يكفي ذلك من الحلال ، وعدم طول الأمل ، فلا يدعهم قصر أملهم يفعلون ذلك .

عن أنس رضي الله عنه قال : خَطَّ رسول الله ﷺ خطًا وقال : « **هذا الإنسان** » ، وخط إلى جنبه خطًا وقال : « **هذا أجله** » ، وخط خطًا آخر بعيدًا منه فقال : « **هذا الأمل ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب** » (١) .

مر أحدهم على شخص يبني دارًا ويحكمها فأنشد يقول :

أَتَبْنِـي بنَـاءَ الخَالِـدينَ وَإِنَّمَـا
مُقَامُـكَ فِيْهَـا لَـوْ عقَلْـتَ قَلِيـلُ

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) الرقاق ، والمنذري في « الترغيب والترهيب » .

لَقَدْ كَانَ فِي ظِل الأَرَاكِ كِفَايَةٌ
لِمَن كَان يَوْمًا يَقْتَفِيهِ رَحِيْلُ

وكان بعضهم يعيب على الفقير إذا رآه يبني دارًا ، ويقول له : إن الذي تصرفه على هذا البناء لا تلحق تسكن به ، وزجر رجلًا من أصحابه بنى بيتًا وصرف عليه سبعمائة ، وقال : لو سكنت بأجرة لكفاك العُشْرُ مما صرفته في هذا البناء .

وقد درج السلف الصالح كلهم على عدم الحرص وطول الأمل .

٢٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

هوان الدنيا عليهم وشدة رفضهم لها

عملًا بقول رسول الله ﷺ : « **والله ، ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بِمَ ترجع** » (١) ، وقوله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء** » (٢) .

كان مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - يقول : « اتقوا السحارة التي تسحر قلوب العلماء وتلهيهم عن الله تعالى - يعني الدنيا - وهي أسحر وأقبح من سحر هاروت وماروت ، لأن ذاك يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا يفرق بين العبد وربه .

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ٩٣) الجنة وصفة نعميها ، والترمذي (٩/ ١٩٩) الزهد ، وابن ماجه (٤١٠٨) .

(٢) رواه الترمذي (٩/ ١٩٨) الزهد وقال : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : زكريا ضعفوه ، وقال الألباني : والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه ، وانظر شواهده في « الصحيحة » رقم (٩٤٣).

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : لقد أدركنا الناس وهم يرون الدنيا عندهم كوديعة يؤدونها إلى صاحبها ، ليس لهم فيها ملك ، ولذلك ذهبوا إلى الآخرة خفافًا .

كان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول : الدنيا سجن المؤمن ، وأعظم أعماله في السجن الصبر وكظم الغيظ ، وليس للمؤمن في الدنيا دولة وإنما دولته غدًا في الآخرة (١) .

وكان بعضهم يقول : إذا أردت القرب من الله تعالى فاجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد .

---

(١) المقصود ـ والله أعلم ـ أن المؤمن لا يريد الدنيا ولا يقصدها ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] ، ولكن الله عز وجل يرفعه في الدنيا والآخرة وينال عز الدنيا وشرفها كما ينال عز الآخرة وشرفها .

٢٨- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم إسرافهم في الحلال إذا وجدوه

وذلك لأن الحلال غريب في كل زمان بحسب تفاوت أهله ، وكانوا يقدمون كسب الدراهم الحلال على كل مهماتهم ، وذلك لأنهم من أبناء الآخرة بيقين ، والأعمال الأخروية الخالصة لا تقع على يدي من أكل حرامًا أو شبهات ، فإن من أكل حرامًا نشأ عنه فعل الحرام ، ومن أكل شبهة نشأ عنه فعل الشبهة ، حتى لو أراد من أكل الحرام أن يطيع الله لما قدر على ذلك ، ولذلك والله أعلم سوى الله تعالى بين الرسل وبين كل المؤمنين في الأمر بالأكل من الحلال الطيب ، كما قال رسول الله ﷺ : « **أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾** [المؤمنون : ٥١] ، **وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾** [البقرة : ١٧٢] ... » الحديث (١) .

(١) رواه مسلم (٧/ ١٠٠) الزكاة ، والترمذي (١١/ ١١٠) التفسير .

فالأكل من الحلال الطيب أكبر عون على العمل الصالح ، وهو كذلك شرط لقبول الدعاء .

كان يونس بن عبيد ﷺ يقول : ما ثَمَّ اليوم أقل من درهم طيب ، ولو وجدناه ، لاستشفينا به مرضانا .

وتكملة الحديث : « ... ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يُستجاب لذلك ؟ » .

٢٩- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

تقليل أعمالهم في عيونهم من حيث كسبهم لها ، ولو كانوا على عبادة الثقلين ، فكانوا لا يرون أنهم قاموا بذرة واحدة من حقوق الله عز وجل

قال بعضهم : حق الله أثقل من أن يقوم به العبادَ ، ونعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين .

كان النبي ﷺ يصلي حتى تورمت ساقاه وتفطرت قدماه ، فقيل له : أتفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر !! فيقول :« **أَفَلا أَكونُ عَبْدًا شكورًا** » (١) .

كان ثابت البناني يقول : يا رب ، إن أذنت لأحدٍ أن يصلي في قبره فأذن لي .

ودخلوا على الجنيد وهو يصلي وهو في النزع الأخير فقيل له : الآن ؟ قال : الآن تطوى صحيفتي .

---

(١) تقدم تخريجه ص٥٣ .

كان أحدهم يحن إلى الليل إذا أقبل ليخلو فيه بحضرة ربه ﷻ ، ويتكدر من النهار إذا أقبل خوفًا من الناس أن يشغلوه عن عبادة ربه ، وكانوا قد بلغوا من العبادة الغاية القصوى ، بحيث لو قيل لأحدهم : إن القيامة تقوم غدًا ، لايجد زيادة على ما هو فيه .

عن محمد بن أبي عميرة ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال : « **لو أن عبدًا خَرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرمًا في طاعة الله لحقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ** [(١)] ، **ولود أنه يرد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب** » [(٢)] .

---

(١) المعنى : أنه يحقر عمله هذا في يوم القيامة .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥) « الزوائد » ، وعبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق (١٢) وقال الألباني في « الصحيحة » (٤٤٧) : وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات ، وبقية إنما يخشى من عنعنته لأنه مدلس ولكنه قد صرح بالتحديث فأمنا بذلك تدليسه ، وقال الأرناؤوط ، إسناده صحيح .

٣٠- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة خوفهم من دخول الآفات في علمهم وعملهم وفي إرشادهم الأمة إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة

فلا تظن أن أحدًا منهم كان يحب التقدم في أمر من أمور الدنيا ، وكانوا يكرهون الفتيا لأن المفتي يدخل فيما بين الله وبين عباده .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل : ١١٦] .

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله : « أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ فما كان منهم رضي الله عنهم محدث إلا ويود أن أخاه كان كفاه الحديث ، ولا مفتٍ إلا ويود أن أخاه كان كفاه الفتيا » .

كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : بذل الدنانير للناس أحبُّ إليَّ من بذل الحديث لهم ، وأهون على نفسي .

وقد طلب الناس من سفيان بن عيينة رحمه الله أن يجلس يحدثهم فَأَبى وقال : ما أنا بأهل أن أحدث ولا أنتم بأهل أن تسمعوا ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا .

وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يقول : كثير من الناس يعيش الناس بعلمهم ، ويهلكون في نفوسهم ، يعني بالعجب ورؤية النفس .

كان أبو حازم رحمه الله يقول : قد رضي علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل . وقد كان السلف رحمهم الله يفعلون ولا يقولون ، ثم صار الذين من بعدهم يفصلون ويقولون ، ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون ، وسيأتي زمان أهله لا يقولون ولا يفعلون .

وكان عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول : لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات ، فلا ينتقلون من عشر حتى يعملوا بها .

روى عبد الله بن المبارك عن محمد بن زياد قال : رأيت

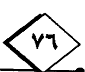
أبا أمامة أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ربه ، فقال أبو أمامة : أنت أنت لو كان هذا بيتك .

وقد قيل للشعبي رحمه الله مرة : أفتنا أيها العالم ، فقال : لاتقولوا لمثلي عالم ، فإن العالم هو الذي تقطعت مفاصلة من خشية الله .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : من أبكاه علمه فهو العالم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] .

فانظر يا أخي في نفسك هل وَفَيْتَ بحق علمك وعملك كما وفى هؤلاء ؟ أم أنت عنهم بمعزل ، وأكثر من الاستغفار ليلًا ونهارًا .

٣١- ومن أخلاقهم 

كثرة سؤالهم عن أحوال أصحابهم ، وذلك لأجل أن يواسوهم بما يحتاجون إليه من الطعام والثياب ، والنقود ، ووفاء الديون ، وتحمل الهموم

وهذا الخُلُق صار أهله غرباء في هذا الزمان ، فإن الناس اليوم على خلاف ذلك ، وربما يقول أحدكم لصاحبه إيش حالكم ؟ فيقول : طيب ، ويكتم أمره لعلمه بفراغ قلب صاحبه منه ، وأن قوله : إيش حالكم بحكم العادة من غير ثمرة . كما هو مشاهد بل وكثيرًا ما يقول المار على أصحابه : إيش حالكم ؟ ولا ينتظر الجواب مثلا ، فلا السائل يتربص حتى ينتظر الجواب ، ولا المسؤول يكلف نفسه النطق بالجواب .

قال بعضهم : إذا لم يكن أحدكم عازمًا على مواساة أخيه أو تحمل همومه أو الدعاء له ؛ فلا يقولن : إيش حالكم ، لأنه يعتبر نفاقًا .

كان السلف ﷺ يسأل بعضهم بعضًا عن أحوالهم لينبهوا الغافل على شكر الله تعالى فيشكره ؛ فيحصل له ولهم الخير بذلك .

قيل لأبي بكر الصديق : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحت عبدًا ذليلًا لرب جليل ، أصبحت مأمورًا بأمره » .

وقيل للإمام الشافعي : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحت آكل رزق ربي ولا أقوم بشكره » .

وقيل لمالك بن دينار : كيف أصبحت ؟ فقال : « أصبحت في عمر ينقص ، وذنوب تزيد » .

٣٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم الغفلة عن محاربة إبليس ، والاجتهاد لمعرفة مكائده ومصائده

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

وهذا الخُلُقُ قد أغفله كثير من الناس ، فإن إبليس كما لا يغفل عَنَّا ، فينبغي لنا أن لا نغفل عنه ، فإنه بالمرصاد حريص على وقوع العبد في سخط الله تعالى .

قال رسول ﷺ : « **إن عرش إبليس على البحر ، فيبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة** » (١) .

كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : « إن إبليس إذا ظفر من ابن آدم بإحدى ثلاث قال : لا أطلب منه غيرها ؛ إعجابه

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٤/ ٤١٠)الرقاق ، وفي رواية لمسلم « إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة : أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم ... » الحديث .

بنفسه ، واستكثاره عمله ، ونسيانه ذنوبه » .

وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول : إياكم أن تعادوا الشيطان في العلانية وتطيعوه في السر ، فإن من بات عاصيًا بات الشيطان لأجله عروسًا .

فتنبه يا أخي لنفسك ، وإياك أن تظن أن إبليس انقطع عنك حين ترى توالي عبادتك ، بل انظر فيها ، وابحث كل البحث ، فستجد حظ إبليس ، وأكثر من الاستغفار .

عن الحسن قال : إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداومًا في طاعة الله فبغاك وبغاك ـ أي طلبك مرة بعد مرة ـ فرآك مداومًا مَلَّكَ ورفضك ، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

٣٣- ومن أخلاقهم رحمهم الله

شهودهم في نفوسهم أنهم لم يقوموا بذرة واحدة من شكر ربهم

وذلك لأنهم يرون أن جميع ما يشكرونه به من جملة نعمه عليهم ، فلا تنفد نعمه عليهم ، ولا يصح من أحد مقابلتها .

كان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله يقول : ما قال عبدٌ الحمد لله ، إلا وجب عليه بذلك شكر آخر .

وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول : إذا كان الذي تشكر الله تعالى به نعمة منه عليك من نعمه عز وجل ، فما ثمَّ شكر حقيقة ، وإنما الشكر اعترافك بكثرة نعمه عليك ، وأنك لا تحصي ثناءً عليه عز وجل .

وكان سهل التستري رحمه الله يقول : أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنعمه عليك ، فإن جوارحك كلها من نعمه عليك ، فلا تعصه بشيء منها .

وقد كان مجاهد ومكحول ـ رحمهما الله ـ يقولان في قوله

تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] ، إنه الشراب البارد وظل المساكن ، وشبع البطن واعتدال الخلق ، ولذة النوم .

وكان سفيان الثوري إذا مرَّ عليه أحدٌ من أهل الشرطة يخرُّ ساجدًا لله تعالى ويقول : الحمد لله الذي لم يجعلني شرطيًا ولا مكاسًا ، ثم يقول لأصحابه : إنه يمر على أحدكم المبتلى الذي يؤجر على بلائه فتسألون ربكم العافية ، ويمر عليكم هؤلاء الظلمة الذين يأثمون ببلائهم فلا تسألون الله العافية .

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] ، يعني : يعد المصائب وينسى النعم .

وكان عون بن عبد الله رحمه الله يقول في قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل : ٨٣] ، يعني يرون النعم أنها من الله ﷻ ثم يضفيونها إلى الخلق ، غافلين عن الله تعالى ، ويقولون : لولا فلان ما وصلت إلينا .

٣٤- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

شدة تدقيقهم في التقوى
وعدم دعوى أحدٍ منهم أنه متقٍ

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] .

وقال النبي ﷺ : « **التقوى هاهنا** » ، وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات »(١) .

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : « لا يبلغ أحدٌ مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به في الدنيا والآخرة ، وقد قال له رجل مرةً : متى يبلغ العبد سنام التقوى ؟ فقال : إذا وضع جميع ما في قلبه من الخواطر في طبق ، وطاف به في السوق لم يستح من شيء فيه » .

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٢٠، ١٢١) البر والصلة ، والترمذي (٨/ ١١٥) البر ، وأحمد (٢/ ٢٧٧) .

وكان رحمه الله كثيرًا ما يقول : « علامة المتقي أن يلجم عن الكلام كما يلجم المحرم حال إحرامه ، ويحتاج المتقي أن يكون عالمًا بالشريعة كلها ، وإلا خرج عن التقوى من حيث لا يشعر » .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : « من كمال التقوى أن يخاف العبد من ربه في مثقال ذرة » .

وقد سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن التقوى ، فقال : « هي طريق الشوك ، يحتاج الماشي فيها إلى صبر شديد » .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : « أدركنا الناس وهم يحبون من قال لأحدهم اتق الله تعالى ، وقد صاروا اليوم يتكدرون من ذلك » .

وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله : أي البلاد تحب لي أن أقيم فيه ؟ فقال : ليس بينك وبين بلد نسب ، بل خير البلاد ما حملك على التقوى .

ففتش نفسك يا أخي هل اتقيت الله تعالى كتقوى هؤلاء السلف ، أم قصرت عنهم ، واستغفر ربك ، والحمد لله رب العالمين .

٣٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة سترهم لإخوانهم المسلمين، وشدة مناقشتهم لنفوسهم في مقام التورع

فكانوا لا يحبون أن تظهر لأحدٍ عورة، وكاونوا يحاسبون أنفسهم في أقوالهم وأفعالهم وطعامهم وشرابهم وتفقد جميع جوارحهم في وقوعها فيما حرم الله عليها، لاسيما اللسان والبطن والفرج والعين.

قال النبي ﷺ: « **اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب** »[(١)].

كان يونس بن عبيد رحمه الله يقول: « حقيقة الورع هو

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٨٣، ١٨٤) الزهد، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، ورواه أحمد (٢/ ٣١٠)، وابن ماجه (٤٢١٧) الزهد بمعناه، وحسنه الألباني، وكذا في تحقيق « جامع الأصول ».

الخروج عن الشُّبَه ، ومحاسبة النفس مع كل خطوة ، فمن لم يكن كذلك فليس بوَرِع » .

وكان بعضهم يقول : لا تستهن بالتورع في اليسير ، فإن الاستهانة فيه سُلَّمٌ لترك التورع في الكثير .

وكان الضحاك يقول : « لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون الورع ويسافرون لتعلمه الثلاثة أشهر وأكثر ، وقد صاروا اليوم لا يطلبون ذلك ، ولا يعملون به ، ولو نبهوا عليه » .

كان السلف إذا وقع من أحدهم دينار في مكان ، ثم تذكره ورجع فرآه لا يأخذه ، ويقول : يحتمل أن هذا وقع من غيري وأن ديناري أخذه أحد .

٣٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

التودد والسكينة والوقار وقلة الكلام وذلك لكمال عقولهم ، وكثرة تجاربهم لأهل عصورهم

ومن كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : « ينتهي طول العبد في اثنتين وعشرين سنة ، وينتهي عقله في ثماني وعشرين سنة ، وما بعد ذلك إلى آخر عمره إنما هو تجارب » انتهى .

وكان قتادة رحمه الله يقول : « الرجال ثلاثة : رجل ، ونصف رجل ، ولا شيء ؛ فالرجل : هو من كان له عقل ورأي ينتفع به ، ونصف الرجل : هو الذي يشاور العقلاء ويفعل برأيهم ، والذي لاشيء : هو الذي لا عقل له ولا رأي له ولا يشاور أحدًا » .

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول : « أفره الدواب لا غنى له عن السوط ، وأعقل النساء لا غنى لها عن الزوج ، وأعقل الرجال لا غنى له عن مشورة ذوي الألباب » .

كان وهب بن منبه ﷺ يقول : « من ادعى العقل ولم تكن همته الآخرة فهو كاذب » .

فاعلم ذلك يا أخي ، واتبع سلفك الطاهر تسترح ، والحمد لله رب العالمين .

٣٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة الصمت والنطق بالحكمة تسهيلاً على الطالب

كان بعضهم يقول : تهيج الحكمة من أربع خصال : الندم على الذنب ، والاستعداد للموت ، وخلو البطن ، وصحبة الزهاد في الدنيا .

فمن جملة حكمهم رضي الله عنهم : قول بعضهم : عليك بالحكمة فإنها تجلس المساكين مجالس الملوك .

ومنها قول الشافعي : « أقل الناس في الدنيا راحة : الحسود والحقود » .

ومنها قول أبي معاوية الأسود : « من طلب من الله الخير الكثير ، فلا ينم في الليل ولا يَقِلْ » .

وقوله : « من طلب الفضل من اللئام ، فلا يلومن إلا نفسه إذا أهين » .

وقال الشافعي رحمه الله : « من نَمَّ لك نَمَّ عليك ، ومن نقل إليك نقل عنك ، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك ،

كذلك إذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك » .

وقال أبو أمامة ﷺ : « من لم ينلك الخير في حياته ، فلا تبك عيناك على وفاته » .

وقال : « الاعتراف يهدم الاقتراف ، ولم تزل الأشراف تبتلى بالأطراف » .

وقال ابن مسعود ﷺ : « التواضع يرفع الخسيس ، والكبر يضع النفيس ، ومن طلب الرياسة أعيته ، ومن فَرَّ منها تبعته » .

وقال الفضيل بن عياض : « من كثر عتابه قل أصحابه » .

وقال يحيى بن معاذ : « من حلم ساد على أقرانه ، ومن نفذ غضبه غمس في بحر هوانه » .

فاعلم هذا يا أخي ، ونظف باطنك من محبة الدنيا وشهواتها ، وأكثر من ذكر الله تعالى ، فإذا تم جلاء باطنك ، فهناك ينطقك الله تعالى بالحكمة ، وتصير حكيم زمانك .

٣٨- من أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة صيامهم ، وقلة كلامهم ، كما هو شأن العلماء العاملين

كان محمد الراهبي يقول : من أدخل في بطنه فضول الطعام ، أخرج من لسانه فضول الكلام .

كان إبراهيم النخعي رحمه الله يقول : من تأمل وجد أشرف أهل كل مجلس وأكثرهم هيبة ، من كان أكثرهم سكوتًا ، لأن السكوت زين العالم وستر للجاهل .

وكان معروف الكرخي يقول : كلام الرجل فيما لا يعنيه من خذلان الله إياه .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه ، فعل ذلك عدة سنين ، حتى تعوَّد قلة الكلام ، وكان لا يخرج الحجر إلا عند الأكل وعند الصلاة ، كل ذلك خشية أن يتكلم فيما لا يعنيه ، ثم لما حضرته الوفاة كان يمسك بلسانه ويقول : « هذا هو الذي أوردني الموارد » .

قال النبي ﷺ : « **إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »(١) .

عن شُفَيّ بن ماتع الأصبحي قال : من كثر كلامه كثرت خطيئته .

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٩٦) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه ، ورواه ابن ماجه (٣٩٧٦) ، وحسنه النووي وابن عبد البر ، وقال ابن رجب : الصحيح فيه المرسل ، وصححه الألباني .

ـ ومعنى الحديث : أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه ـ أي : ما لا يعود عليه بالنفع في الدنيا أو الآخرة من قول وفعل وعمل ـ وانظر : شرح الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » .



٣٩- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

أنهم كانوا يسدون باب الغِيبَة في مجالسهم ، لئلا يصير مجلسهم مجلس إثم ، لأنَّ أعمالهم الصالحة قد لا تقاوم غِيبَة واحدة وقعوا فيها يوم القيامة

وكان بعضهم يكثر من الأعمال الصالحة ليصير معه شيء من الأعمال يوم القيامة ليعطي خصماءه الذين لهم عليه تبعة من مال أو عرض .

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال ﷺ : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته** » (١) .

---

(١) ورواه مسلم (١٦/ ١٤٢) البر والصلة ، وأبو داود (٤٨٥٣) « الأدب » ، والترمذي (٨/ ١٢٠) البر والصلة ، والدارمي (٢/ ٢٩٩) .

كان سفيان الثوري رحمه الله يقول : « اذكر أخاك إذا تواريت عنه ، بمثل ما تحب أن يذكرك به إذا توارى عنك » .

وكان مالك بن دينار يقول : « كفى بالمرء إثمًا أن لا يكون صالحًا ثم يجلس في المجالس ويقع في عرض الصالحين » .

وكان محمد بن سيرين رحمه الله يقول : « من الغيبة المحرمة التي لا يشعر بها أكثر الناس قولهم أن فلانًا أعلم من فلان ، فإن المفضول يتكدر من ذلك ، ومن المعلوم أن حد الغيبة أن يذكر الشخص أخاه بما يكره » .

فاعرض يا أخي على نفسك هذه الأمور ، وانظر هل سلمت من الوقوع فيها فتشكر الله تعالى ، أم وقعت فيها فتستغفره .

وانظر : الأسباب المبيحة للغيبة للإمام النووي بمسلم شرح النووي هامش (١٦/ ١٤٢ ، ١٤٣) .

٤٠- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم وسوستهم في الوضوء والصلاة وغير ذلك من العبادات ، مع مبالغة أحدهم في الورع إلى الغاية

لأن الوسوسة من الشيطان ومن ظلمة القلب ، وظلمة القلب من ظلمة الأعمال ، وظلمة الأعمال من أكل الحرام والشبهات .

فمن أحكم أكل الحلال فليس لإبليس عليه سبيل مطلقًا .

وقد أكل قوم من أطعمة الظلمة والمكاسين ، وطلبوا الحضور مع الله تعالى والخشوع في عباداتهم فلم يصح لهم ذلك ، وكان غاية ما حَصَّلَهُ أحدهم العناء والتعب والقفز في الهواء حال النية في الصلاة كأنه يصطاد شيئًا تفلت من يده ، وتراه إذا كبر يقول : أك أك أك بار بار بار ، وقد أفتى بعض العلماء ببطلان الصلاة بذلك ، وقال إنه ليس بذكر ، وأنت إذا قلت لأحدهم توضأ كما بلغك من وضوء رسول الله ﷺ ربما لا يرضى بذلك ولا يعتقد صحته ، نسأل الله العافية من

هذا الضلال المبين والإفك المشين ، وإنما هو وساوس ن
وساوس الشياطين ، ليس من الإسلام في شيء ، ولا ن
الإيمان في ظِلٍّ ولا فَيْءٍ ، والحمد لله رب العالمين .

٤١- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كتمانهم الأسرار وعدم تبليغهم أحدًا ما يسمعونه في حقه ، وقد قالوا : قلوب الأحرار قبور الأسرار

والنميمة هي نقل الكلام على سبيل الإفساد سواء تضرر به المنقول عنه أو المنقول إليه أو طرف ثالث . وقيل هي كشف ما يكره كشفه .

وقد قال النبي ﷺ :« **لا يدخل الجنة قتات** » (١) ، يعني نمامًا . وقيل في تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد : ٤] ، قال : كانت نمامة تنقل الحديث .

كان يحيى بن أبي كثير رحمه الله يقول : « النمام شر من الساحر ولا يشعر به أحدٌ ، فإنه قد يعمل في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر ، فإن النميمة سفكت الدماء ، ونهبت الأموال ، وأثارت الفتن العظام ، وأخرجت الناس من أوطانهم ، وغير

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٧٢) الأدب ، ومسلم (٢/ ١١٣) الإيمان ، والترمذي (٨/ ١٨٢) البر والصلة ، وأبو داود (١٣/ ٢١٩) الأدب .

ذلك من المفاسد » .

وكان خالد بن صفوان ﷺ يقول : امقتوا النمام وإن كان صادقًا ، لأن النميمة رواية ، وقبولها إجازة ، فيصير قبولها شرًّا منها .

فاعلم ذلك يا أخي ، واحذر من إفشاء سر إخوانك أو نقل كلامهم ، والحمد لله رب العالمين .

٤٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

الاشتغال بعيوبهم عن عيوب الناس والاجتهاد في ستر عيوب الآخرين

وقد قال النبي ﷺ : « **ألا أخبركم بشراركم ، المشاؤون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت** »(١) .

وقال ﷺ : « **ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة** »(٢) .

قال بعضهم : يرى أحدكم عيوب نفسه ، ومع ذلك يحبها ، ويبغض أخاه المسلم على الظن ، فأين العقل ؟

روي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال : « **لاتنظُروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب ، وانظروا فيها كأنكم عبيد ، إنما**

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٥٩) ، (٤/ ٢٢٧) من حديث أبي مالك الأشعري ، والبيهقي في شعب الإيمان وهو في « مشكاة المصابيح » (٤٨٧١) ، قال الهيثمي : فيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح - « مجمع الزوائد » (٨/ ٩٣) .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٧/ ٢١ ، ٢٢) الذكر والدعاء ، وأبو داود (١٣/ ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

الناس رجلان : مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي » .

وكان الشعبي رحمه الله يقول : من استقصى عيوب إخوانه بقي بلا صديق .

فاحفظ لسانك يا أخي ، فإن من شق جيوب الناس شقوا جيبه ، وإياك أن تنسى نفسك إذا اطلعت على عيب أخيك المسلم ، بل الواجب عليك أن تجعل ذلك مذكرًا لعيبك ، فإن الطينة واحدة ، وما جاز وقوعه من غيرك جاز وقوعه منك .

٤٣- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة السخاء والجود وبذل المال ومواساة الإخوان في حال سفرهم وفي حال إقامتهم ، فإنه بذلك يقع التعاضد في نصرة الدين ، الذي هو مقصودهم

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يشترط على من يريد أن يصحبه في السفر أن يكون عبد الله هو الذي ينفق عليه .

وسئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن العاقل من هو ؟ فقال : « من يكنز ماله في مكان لا يأكله السوس ، ولا تصل إليه اللصوص ، يعني في السماء » .

دُعِيَ عبد الله بن جعفر إلى وليمة فلم يحضر لعائق حصل له ، فأرسل إلى صاحب الوليمة خمسمائة دينار ، واعتذر إليه ، وسأله أن يسامحه في عدم الحضور .

وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول : اللهم ارزقني مالًا أجود به ، فإن لا يصلح الفعال إلا المال ، ثم ينشد قوله :

أرى نفسي تتوق إلى فِعالٍ ... فَيَقْصُرُ دونَ مَبْلَغِهِنّ مالي

فــلا نَفْسِــي تُطَــاوِعُني ببُخــلٍ
ولا مـــالي يـــبلّغُني فِعـــالي

فاعلم ذلك يا أخي وإياك أن تتظاهر بالصلاح وأنت على خلاف أخلاق القوم في الكرم والسخاء والجود والمواساة ، فقد كانوا يعطون المال الجزيل ولا يرون لهم فضلًا على أحدٍ ، وكان أحدهم يشق إزاره نصفين ويعطي أخاه نصفه .

وقد كانوا إذا أقبل عليهم السائل يقولون : مرحبًا بمن جاء يحمل أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، ويقل عنا ما يشغلنا عن عبادة ربنا سبحانه .

وقد كانوا إذا مات لأحدهم خادم يرسلون له خادمًا خلافه ، وكان يقبل ذلك وهو ساكت ، وكان هذا الذي أرسل لا يرى له فضلًا على أخيه ، وكانوا إذا بلغهم أن على أحد من إخوانهم دينًا ، يوفونه عنه من غير أن يشاوروه عليه ، وكان المديون إذا علم ذلك يسكت وكأنه أوفاه هو من ماله ، لما يعلم من طيبة نفس أخيه بذلك .



٤٤- ومن أخلاقهم رحمهم الله

شدة محبتهم لاصطناع المعروف إلى الإخوان ، ومحبة الانبساط إليهم ، وإدخال بعضهم السرور على بعض ، وتقديم إخوانهم في ذلك على أنفسهم

وكان هذا أمرًا لا يتوقفون عنه ويرون استحقاق إخوانهم لهذا البذل والعطاء .

ويقولون : إذا لم يكن أخونا أهلًا للمعروف فنحن من أهله .

كان محمد بن الحنفية يقول : صانع المعروف لا يقع ، وإذا وقع لا ينكسر .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : نحن لا نعد القرض من المعروف ، لأن صاحبه يطلب المقابلة ، وإنما المعروف المسامحة للناس في كل ما يطلبونه منك في الدنيا وفي الآخرة .

وكان بعضهم يقول : ذهب المعروف وبقيت التجارة ، يعطي أحدهم لأخيه الشيء لأجل أن يعطيه نظيره .

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : « لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله ، وتصغيره في عين معطيه ، وإخفاؤه عن الناس » .

وكان جعفر بن محمد رحمه الله يقول : بئس الأخ من لا يتجرأ أخوه أن يفتح كيسه في غيبته ويأخذ منه ما يحتاج إليه بغير إذنه .

وقد يترك أحدهم ذلك لا لما يعلمه من أخيه من البخل ، بل قياسًا على نفسه .

وكان إبراهيم بن أدهم يقول : لقد أدركنا الناس وأحدهم لا يرى أنه أحق بمتاعه من أخيه ، إلا إن كان أحوج إلى ذلك من أخيه .

وقال رجل مرة لأوس بن خارجة رحمه الله : « إني جئتك في حاجة صغيرة » ، فقال له : « اطلب لها رجلًا صغيرًا » .

فاعلم ذلك يا أخي ، وفتش نفسك ، هل أنت على نهج سلفك الكرام فيما قرأته أم خالفتهم ؟ ، وإياك أن تظن أنك من الصالحين ولست منهم .

٤٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

إكرام الضيف وخدمته بأنفسهم ، إلا بعذر شرعي

ثم لا يرون أنهم كافؤوه بإطعامه وخدمته على تخصيصه إياهم بالإقامة عندهم ، وإحسانه الظن بهم .

قال رسول الله ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه** » (١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي شريح رضي الله عنه قال : أبصرت عيناي رسول الله ﷺ وسمعته أذناي حين تكلم به ، قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه جائزته** » ، قالوا : وما جائزته ؟ قال : « **يوم وليلة** » ، قال : « **والضيافة ثلاثة أيام ، وما كان بعد ذلك فهو صدقة** » (٢) .

وخرج مسلم من حديث أبي شريح أيضًا عن النبي ﷺ

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٩/ ٦٠) الأدب ، ومسلم (٢/ ١٨) الإيمان ، وأبو داود (٥١٢١) الأدب ، وابن ماجه (٣٩٧١) الفتن .

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٥٣١) الأدب ، ومسلم (١٢/ ٣١) اللقطة ، وأبو داود (٣٧٣٠) الأطعمة ، والترمذي (٨/ ١٤٥) البر ، ومالك في « الموطأ» (٢/ ٩٢٩) .

قال : « **الضيافة ثلاثة أيام ، وجائزته يوم وليلة ، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يُؤْثِمَهُ** » ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يؤثمه ؟ قال : « **يقيم عنده ولا شيء له يقريه به** » (١) .

كان أنس بن مالك ﷺ يقول : زكاة الدار أن يجعل فيها بيتًا للضيافة .

وقال بعضهم في ذم البخل وعدم القيام بحقوق الضيف :

وإذا أردْتَ إخـــاءَه
فـارفع عُيُونـك مِـن طَعَامِـهْ
فـالموتُ أهـونُ عنـدَه
مِـن مضـغِ ضـيفٍ والتقامِـهْ
سِـيّانِ كَسْـرُ رغيفِـه
أو كسْـرُ شـيءٍ مِـن عظامـهْ
وإذا مـررتَ ببابِـه
فَـاحفظْ رَغيفَـك مِـن غُلامِـهْ

---

(١) رواه مسلم (١٢/ ٣١) اللقطة . قال النووي : قال العلماء معناه الاهتمام به في اليوم الأول والليلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف ، وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ، ولا يزيد على عادته ، وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف ، إن شاء فعل وإن شاء ترك .

٤٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم إجابة دعوة مَنْ طعامه حرام ، أو إذا خص الأغنياء بالدعوة دون الفقراء ، أو كان في مكان الوليمة شيء من المعاصي ، وكانوا يتعففون عما في أيدي الناس من الحلال

كان أبو مسعود البدري رضي الله عنه لا يجيب إلى وليمة إلا إن علم عدم وجود شيء نهى الله عنه .

وكان أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه إذا ذهب إلى وليمة ورأى في البيت سترًا على جدار يرجع ويقول : لا يستر البيوت إلا الأكاسرة والجبابرة ، ونحن لا نأكل لهؤلاء طعامًا .

وكان بعضهم يقول : قد ذهبت السنة في الولائم ، إن الجفان كانت تملأ طعامًا ويغدى بها إلى المسجد فيأكل منها كل من كان حاضرًا ، من غني وفقير ، وشريف ووضيع ، وكان صاحب الوليمة إذا خص الأغنياء بالدعوة لا يأكل الناس له طعامًا ، ويقولون إنه شر الطعام [1] .

---

(١) ورد في صحيح مسلم عند أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « شر الطعام =

٤٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة الصدقة بكل ما فضل عن حاجتهم ، ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا ، ومن لم يجد منهم شيئًا من المال والطعام مثلاً تصدق بكف أذاه عن الناس وتحمل هو أذاهم

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

كان عبد العزيز بن عمير رحمه الله يقول : الصلاة توصلك إلى نصف الطريق ، والصوم يوصلك إلى باب الملك ، والصدقة

طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعي إليها من يأباها . ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » ﷺ .

وفي صحيح البخاري موقوفًا ، وفي مسلم بنحوه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء . ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله » .

تدخلك إلى الملك . وكان ﷺ يقول : الأموال عندنا ودائع للمكارم .

وكان من أخلاقهم البشاشة في وجه السائل ، وإحسان الظن به وأنه ما سأل إلا لحاجة .

كان سفيان الثوري ﷺ ينشرح إذا رأى سائلًا على بابه ، ويقول : مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي .

وكان الفضيل بن عياض ﷺ يقول : نعم السائلون يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى .

٤٨- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

أنهم لا يتخذون من الإخوان إلا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه ، فإن أخاك إذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « عليكم بالإخوان فإنهم عدة للدنيا والآخرة ، ألا تسمعون إلى قول أهل النار : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٠-١٠١] .

كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : « لولا محادثة الإخوان في هذه الدار ، والتهجد في الأسحار ، ما أحببت البقاء بها » .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة : الأحمق والكذاب والفاجر ، فأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ، ولا يُرجى لصرف سوء ، وسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وأما الكذاب فلا يهنأ لك معه عيش ، وينقل خبرك إلى غيرك ، ويغري بينك وبين الناس العداوة

والبغضاء ، وأما الفاجر فيزين لك فعاله ، ولا يعينك على شيء من أمور دينك .

فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك ، وانظر هل وَفَيْتَ بحقوق إخوانك ؟ وهل تعففت عن سؤالهم بالحال أو بالمقال أو بالتعريض ؟ وهل صحبتم لله تعالى أو لغرض نفساني ؟ فإن كل ما لم يكن لله فهو وبال على العبد في الدنيا والآخرة .

فطالب نفسك يا أخي بحقوق الإخوان ، ولا تطالبهم بحقك ، لا ظاهرًا ولا باطنًا ، وقد أنشد الشافعي قوله :

صديقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بَأْسٍ
قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ في القِيَاس
ولا يُبغَى الصَّدِيقُ بكُلِّ عَصْرٍ
وَلاَ الإِخْوانُ إلاَّ لِلتَّآسِي
غَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِسًا بجَهْدِي
أَخَا ثِقَةٍ فَأَكْدَاني الْتِمَاسِي
تنكَّرَتِ البلادُ عَلَيَّ حتَّى
كَأَنَّ أُنَاسَها لَيْسُوا بِنَاسِ

٤٩- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

ترك معاداتهم للناس ، وكثرة مداراتهم [١] لهم ، وعدم مقابلتهم أحدًا بسوء ، فالناس يعادونهم وهم لا يعادون أحدًا

رُوي عن سليمان بن داود عليه السلام أنه قال لابنه : « يابني ، لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد » .

ونظمه الشافعي فقال :

وليس كثيرًا ألفُ خِلٍّ لواحدٍ
وإنَّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ

رُوي أن أيوب عليه السلام قيل له : أي شيء كان أضرَّ عليك أيام بلائك ؟ فقال : « شماتة أعدائي » ، وقد أنشد بعضهم في ذلك فقال :

---

(١) والمدارة : هي إرضاء الناس بما ينقص الدنيا ، والمداهنة : هي إرضاء الناس بما ينقص الدين ، والأولى مستحبة والثانية حرام .

جميــعُ فَوائــدِ الــدنيا غُــرُورُ
فــلا يَبقَــى لمســرورٍ سُــرورُ
فقُــلْ للشــامتين بنــا اســتعدّوا
فــإن نوائِــبَ الــدنيا تَــدُورُ

وكان محمد بن مقاتل ﷺ يقول : احذر شر من تحسن إليه ، واعذر أخاك ، بما تعذر به نفسك ثم يقول :

وَتعْــذُرُ نفسَــك لَمّــا أَسَــأْتَ
وغــيرَك بالعُــذْرِ لا تَعْــذُرُ
وتُبْصِــرُ في العــينِ منــه القَــذاة
وفي عينِــك الجِــذعَ لا تُبْصِــرُ

٥٠- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة عزلتهم لأهل المعاصي

قال الله تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨-٤٩] .

وقال ﷺ : « **يأتي على الناس زمان ، خير مال الرجل المسلم الغنم ، يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن** » (١) .

كان الحسن بن صالح رحمه الله يقول : لقد أدركنا الناس وهم يتحابون من بعيد ، ويكرهون اللقاء .

وكان الربيع بن خثيم رحمه الله يقول : « **لا ينبغي لأحدٍ أن يعتزل للعبادة إلا بعد التفقه في دينه** » .

---

(١) رواة البخاري (١١/ ٣٣١) الرقاق .

فقد كان الإمام مالك رحمه الله يقول : « تفقه ثم اعتزل » .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : هذا زمان السكوت ، ولزوم البيوت ، والقَنَعِ بالقوت إلى أن تموت . وكان يقول : لقد أدركنا الناس وهم دواء يستشفى بهم ، فصاروا اليوم دَاءً لا دَواءَ له . وقيل : اعتزال العامة مروأة تامة .

فاعلم ذلك يا أخي وخالط الناس إذا أطاعوا الله عز وجل ، واترك خلطتهم في المعاصي وفضول المباحات . والحمد لله رب العالمين .

٥١- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

زيادتهم في التواضع كلما ترقى أحدهم في درجات القرب من الله تعالى

فمن علامات الولاية الصحيحة كلما زاد الله الولي عِزًّا ازداد في نفسه تواضعًا وخضوعًا .

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] .

وقال ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** »(١).

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٩) الإيمان ، وأبو داود (٤٠٧٣) اللباس ، والترمذي (٨/ ١٦٤ ، ١٦٥) البر والصلة .

وتكملة الحديث : (فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا ، فقال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس ... ») .

ومعني : « بطر الحق » : الاستنكاف عن قبوله ، ورده ، والنظر إليه بعين الاستصغار ، وذلك للترفع والتعاظم ، ومعنى « غمط الناس » ، ازدراؤهم واستحقارهم .

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يقول : « ما تكبر إلا وضيع ، ولا افتخر إلا سقيط ، ولا تعصب بالباطل إلا دنيء الأصل » .

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه وهو أمير المدينة في أيام مروان يحمل حزمة الحطب من السوق على رأسه ، ويمشي ويقول : « أوسعوا لأميركم » .

وكان أبو أيوب السختياني يقول : « ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله عز وجل » .

عن الحسن أنه ذكر هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، قال : المؤمنون قوم ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، ووالله ما بالقوم من مرض ، وإنهم والله الأصحاء ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، إنه من

لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قَلَّ علمه وحضر عذابه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه .

٥٢- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم التهاون بشيء من الفضائل التي رغبنا الشرع في فعلها

مع ذلك كانوا يرون أنهم ليس لهم نوافل من الطاعات ، لأن النوافل تكون في حق من كملت فرائضه ، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء : ٧٩] فجعلها نافلة في حق النبي ﷺ وحده لكمال فرائضه .

وقال ﷺ : « **لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق** » (١) ، وقال ﷺ : « **والكلمة الطيبة صدقة** » (٢) .

كان الحسن البصري رحمه الله يكثر من فعل الطاعات ويقول : « ليس لأمثالنا نوافل ، إنما النوافل لمن كملت فرائضه » .

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ١٧٧) البر والصلة ، وقال النووي رحمه الله : فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قَلَّ حتى طلاقة الوجه عند اللقاء .

(٢) رواه البخاري (٦/ ٨٥) الجهاد بمعناه ، ومسلم (٧/ ٩٥) الزكاة ، وأحمد (٢/ ٣١٦) .

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول : « مثل الذي يكثر الفضائل ولا يكمل الفرائض ، مثل تاجر خسر رأس ماله ، وهو طالب للربح » .

وكان يونس بن عبيد يقول : « من استخف بالنوافل استخف بالفرائض » .

فاعلم ذلك يا أخي ، وأكثر من النوافل والفضائل ، ولا تمل منها ، ولا ترى بعد ذلك أنك قمت بواجب شكر نعمة واحدة من نعم الله عليك ، والحمد لله رب العالمين .

٥٣- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

كثرة التوبة والاستغفار ليلاً ونهارًا ، لشهودهم أنهم لا يسلمون من الذنب في فعل من الأفعال ، حتى في طاعاتهم

فيستغفرون من نقصهم من خشوعها ، ومراقبة الله تعالى فيها .

قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقال رسول الله ﷺ : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** »(١) .

وقال بعض السلف : من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ١٠١) الدعوات ، ومسلم (١٧/ ٢٤) بلفظ : « **فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة** » .

كان يحيى بن معاذ يقول : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبلها .

وسئل سفيان بن عيينة رحمه الله : ما علامة التوبة النصوح ؟ فقال : أربعة أشياء : قلة الدنيا ، وذلة النفس ، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، ورؤية القلة والنقص في ذلك .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد : عليكم بالتوبة ، فإنها ترد عنكم ما لا ترده السيوف .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة .

فاعلم ذلك يا أخي وأكثر من الاستغفار ما دمت في هذه الدار ، فإنه الاستغفار يطفيء غضب الجبار ، ولا تظن محو ذنوبك إذا فعلت الأمور التي ورد في الشرع أنها مكفرة لذلك ، فقد يكون لها شروط لم تأت بها ، واعلم أن المؤمن لا يطمئن حتى يدخل الجنة ، فافهم ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

٥٤- ومن أخلاقهم 

أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإن لم يفعلوا ولم ينتهوا

وقد ظن بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا ممن كان منزهًا عن العيوب مطهرًا من أدران المعاصي والذنوب، وهذا ظن فاسد، فلو بقى كل إنسان لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى يُحْكِمَ نفسه أولًا، ما أمر أحدٌ بالمعروف، ولا نهى عن المنكر، كما قال بعضهم:

لئن لم يعظ العاصين مَن هو مذنبٌ
فمَن يَعِظُ العاصينَ بعدَ مَحمدِ

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷺ : « **من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** »(١) .

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول : سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة حمار ، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن ، الذي يأمرهم وينهاهم .

قيل لسفيان الثوري رحمه الله : أيأمر الرجل من يعلم أنه لا يقبل منه ؟ فقال : نعم ، ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى .

وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول : ذهب المعروف يبكي ، وجاء المنكر يضحك ، ثم ينشد :

ذهبَ الرجالُ المقتَدىَ بفعالِهم
والمُنكِرون لكلِّ أَمْرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خلَفٍ يُزكّي بعضُهم
بعضًا ليدفعَ مِعْوَرٌ عن مِعْوَرِ

---

(١) رواه مسلم (٢/٢٢-٢٥) الإيمان ، والترمذي (٩/١٨ ، ١٩) الفتن ، وأبو داود (١١٢٨) صلاة العيدين ، والنسائي (٨/١١١ ، ١١٢) الإيمان ، وابن ماجه (٤٠١٣) الفتن .

فاعرض يا أخي هذه الصفات على نفسك ، لتعرف هل أنت ممن ينكر المنكر أو لا ؟ وهل أنت ممن يحب الله تعالى أو لا ؟ وهل نصرت شريعة نبيك محمد ﷺ أو خذلتها ؟ فإن غالب الناس اليوم قد خذل الشريعة المطهرة بأقواله وأفعاله وسكوته عن المنكر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٥٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

عدم العُجْب والإدلال بشيء من أعمالهم ، بل يرون النقص والقصور في طاعاتهم ، فضلاً عن سيئاتهم

كان مطرف بن عبد الله يقول : لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا ، أحبُّ إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح مُعجَبًا .

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : « لو أن عمل ابن آدم كله كان حسنًا لكان يهلك نفسه من العجب ، ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به » .

كان السلف إذا أثنى أحدٌ عليهم خيرًا يقولون : اللهم اجعلني خيرًا مما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون .

وكان عمر رضي الله عنه يقول :« اللهم إني أعوذ بك من شر ما يقولون ، وأسألك أن تغفر لي ما لا يعلمون » .

كان بشر الحافي رحمه الله يقول : إذا رأيت العبد لجوجًا مماريًا بالعلم معجبًا بنفسه ، فاعلم أنه قد استكمل الخسارة .

كان السلف ﭫ مع كثرة مجاهدة نفوسهم في العبادات وترك الشهوات لا يرضون عن أنفسهم ، وهذا مجمع عليه عند القوم ، فمن خالفهم في ذلك فقد خرق إجماعهم .

كان عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ﭬ يقول : « إذا ذكرت أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا » .

٥٦- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت

فكان أحدهم يستشعر عظمة الله تعالى شيئًا فشيئًا من حين ينادى بحي على الصلاة حتى يصل إلى الحضور مع الله تعالى .

وفي الحديث : « **خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد ، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة** » [1] .

كان علي بن الحسين إذا توضأ اصفَرَّ ، فيقال له : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : « أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم » ؟

---

(١) رواه أبو داود ، والنسائي ، ومالك ، وأحمد ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع .

رأى الحسن البصري رحمه الله رجلًا يصلي وهو يعبث بلحيته فسمعه وهو يقول في سجوده : اللهم زوجني في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني ، فقال له الحسن : « يا هذا ، ما رأيت خاطبًا للحور أقل حياءً منك ، تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب » .

٥٧- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم

اجتناب الجلوس في السوق لبيع أو شراء إلا بعد معرفة أحكام الشرع في المعاملات وغلبة ظنهم أن أحدهم لا يشتغل بذلك عن أعمال آخرته ، لأن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة

كان الإمام مالك رحمه الله يأمر الأمراء فيجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه ، فإذا وجد أحدًا منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق ، وقال له : « تعلم أحكام البيع والشراء ثم اجلس في السوق ، فإن من لم يكن فقيهًا أكل الربا شاء أو أبى » .

كان قتادة رحمه الله يقول : « عجبًا للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف وبالليل يحسب » .

انتهى بحمد الله ما تيسر لنا جمعه وترتيبه وأسأل الله عز وجل أن يكون القبول نصيبه ، وأن يرزقنا يوم القيامة بره وذخره .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

فهرس

من إصداراتنا ..

خصائص أهل السنة

الدكتور

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

توزيع





من إصداراتنا ..

تعظيم قدر الصلاة

الدكتور

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

توزيع



